
التيسير
لتفريغ صوتيات أهل العلم وصف الكتب


التيسير
لتفريغ صوتيات أهل العلم وصف الكتب



فضيلة الشيخ.. في مطلع حلقتنا نود أن تعرفنا بهذا الإمام العلم (الشيخ محمد بن عبد الوهاب) من هو؟ وما هي دعوته؟ حفظكم الله..

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان، أما بعد..

الشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله رحمة واسعة – عالمٌ وداعية، مثل كثير من العلماء والدعاة قبله وبعده، لكن الله – تعالى– فضله وحاباه بنعمة منه وفضل، وهيئه لأمر عظيم يسره على يديه، ما كان بعض الناس إلا مثلما بعد الحصل ياقوتة حمراء، لقد كان عالما بالشرع، مقدامًا في الخير، باذلاً نفسه في ذات الله، واجه الناس بما يعتقد، ودعاهم إلى الحق بالحكمة، وصبر على أذاهم، ويسر الله له المناصر، حتى مكَّن سبحانه لدعوته، وسار للمتقين إمامًا، ومجدد القرن الثاني عشر بلا نزاع.

جزآكم الله خيرًا، أحسن الله إليك فضيلة الدكتور، قد يقول بعض الناس: أنتم تقعون في الغلو في هذا الإمام، وهذا الشيخ، كيف الجواب عن هذا الكلام، وهذه الإثارة؟

الحق أننا لسنا دعاة غلو فيه أو في غيره – رحمه الله–، ولا نزعم أن كل أثر حسن في الدعوة إلى الله فهو من آثار دعوته، فأنصار الحق بحمد الله في كل زمان، ودعوتهم منتشرة في كل مكان، والشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله– طريقته طريقة السلف الصالح، لم ينفرد عنهم ولا في مسألة واحدة، قد سبقه أئمة شرف هو بإتباعهم وسلوك سبيلهم، فالحق ليس محصورًا في قوله، لي أن أقول إن لسان حال كل من انتفع بدعوته، بل لسان مقاله أيضًا، أنهم يقسمون الأيمان المغلظة، أنه لو قدر أن خرج من قبره – رحمه الله– وقال: إنني قد تراجعت عن كل ما قلته من مسائل التوحيد، وما دعوت إليه، وما بينته للناس، لقالوا له عن بكرة أبيهم، هذا شأنك، وأما نحن فلسنا نحيد عن الحق الذي دل عليه كتاب الله، ودل عليه سنة رسوله –صلى الله عليه وسلم–، وما أحسن ما قال الشاعر:

إن كـــان توحيـــد الإلـــه توهبًـــا ... يـــا رب فأشـــهد أنـــني وهـــابي

جزآكم الله خيرًا، هذا أحسن الله إليك عن الشيخ نفسه فماذا عن دعوته؟ بارك الله فيكم.

دعوة الشيخ محمد –رحمه الله– هي باختصار؛ صورة الإسلام الفطري قبل أن تعبث في الناس الأهواء، والدين الصافي قبل أن تشوبه الشوائب، حنيفيةٌ في دينها سلفيةٌ، وكانوا أولي بأس فأسال كل ما تلقى، إنه لا يرتاب منصف أن هذه الدعوة، هي الشعلة الأولى لليقظة الحديثة في العالم الإسلامي كله، والـــتي هيأ – سبحانه– لها السبب لعموم النفع، وعظيم التأثير، ألا وهو أن جمع –



سبحانه– لها بين المصحف والسيف، والسلطة والعلم، فشَقَّ الطريق الحافلة بالأشواك، بالحجة البالغة، والحسام المظفر، لقد قيد الله – سبحانه– لهذه الدعوة الإمام محمد بن سعود، فتعاقد الشيخ والأمير على وضع أساس نهضة دينية إصلاحية، غُرست في نجد وتفيق الناس ظلالها في مشارق الأرض ومغاربها.

لا يخفى أن أعداء الحق قد اصطنعوا الحجب الكثيفة، لتحول بين الناس، وبين هذه الدعوة المباركة، أو رؤية ثمرتها اليانعة، فمنذ أن نشأت الدعوة فما بعد تواطأ ثلاثة أصناف على نسج الأباطيل حولها والجد في التخذيل عنها.

من هؤلاء الأصناف؟ بارك الله فيك.. الثلاثة.

هؤلاء بارك الله فيكم.. هم حكام السوء، الذين خافوا على عرش الظلم والضجر، وعلماء السوء الذين أخذتهم حمية جاهلية للخرافة، وكثيرٌ من المستشرقين الذين أعماهم الحقد فتخلوا عن الإنصاف والموضوعية، نظروا بعين عداوةٍ لو أنها عين رضا، لاستحسنوا ما استقبحوا.

قلتم: بارك الله فيكم بأنهم نسجوا الأباطيل عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، يا ترى ما هو الغرض الذي يرمون إليه من هذه الأنسجة وهذه الأباطيل؟

الحق أن هؤلاء نسجوا الأكاذيب والأباطيل؛ لأنهم يعلمون أنه ليس بين الناس وقبول هذه الدعوة سوى أن تصلهم صافية نقية دون سحب التشويه، وسيكون حالهم حينئذٍ حال مؤرخ مصر عبد الرحمن الجبرتي –رحمه الله– حين اطلع على رسالةٍ للشيخ محمد فما تمالك حينها إلا أن يقول كما في الجزء الثالث من تاريخه عجائب الآثار، قال: إن كان كذلك، فهذا ما ندين الله به نحن أيضًا، وهو خلاصة لُبَابَ التوحيد، وما علينا من المارقين والمتعصبين.

وما أحسن ما قال الشيخ تقي الدين الهلالي العالم المغربي المشهور –رحمه الله–:

نسبوا إلى الوهاب خير عباده ... يا حبذا نسبي إلى الوهاب
الله أنطقهم بحق صادق ... وهم أهالي فرية وكذاب
أكرم بها من فرقة سلفية ... سلكت سبيل محجة سنة وكتاب
وهي التي قصد النبي بقوله ... هي ما عليه أنا وكل صحاب

الأمر يا شيخ عبد الرحمن أن هذه الدعوى كل من تأمل ما قامت عليه، وما رمت إليه ودعت، سيد أنها تحمل معها أسباب قبولها بشرط أن تصل إلى الناس كما هي.



يحضرني في هذا المقام إن سمحت قصتان فيهما عبرة: القصة الأولى، كانت للشيخ أحمد بن عيسى -رحمه الله- المتوفى سنة ١٣٢٧هـ، وهو أحد علماء هذا الدعوة الأعلام، وهو مؤلف مؤلفات قيمة، منها: (شرح النونية)، ومنها (رسالة الرد على شبهات المستغيثين بغير الله)، إلى غير ذلك، الشيخ أحمد -رحمه الله- كان مع اشتغاله بالعلم والتعليم كان تاجر أقمشة، وكان يتعامل مع أحد التجار في جدة اسمه الشيخ عبد القادر التلمساني، كان يأخذ منه بالأجل، وكان هناك أحد الأشخاص يكفل الشيخ في دينه إلى أن يسدد، المهم بعد مدة قال التلمساني للشيخ أحمد: حق إنني تعاملت منذ سنين طويلة في التجارة، فما رأيت أحسن منك تعامل، قال: لا يحتاج الآن إلى كفيل. لكن أريد أن أسألك، وهذا السؤال هو الناس يثيرون عنكم أشياء، منها أنكم لا تحبون النبي -صلى الله عليه وسلم- ولا تصلون عليه، ما جوابكم عن ذلك؟ فقال الشيخ: كيف لا نحب النبي -صلى الله عليه وسلم- ونحن نعتقد أن من لا يحبه -صلى الله عليه وسلم- فإنه كافر بالله العظيم، وكيف لا نصلي عليه -صلى الله عليه وسلم- ونحن نصلي عليه دائمًا، بل نحن نعتقد أن من لا يصلي عليه في صلاته، فإن صلاته باطلة، فقال: يبدو إذًا أن الخلافات السياسية هذه هي التي أدت إلى هذه الإشاعات، المهم ظهر للشيخ عبد القادر -رحمه الله- أن ما أشيع عن الشيخ محمد ودعوته وعن علماء الدعوة أنه باطل، بعد مناقشة يسيرة ظهر الحق للشيخ عبد القادر- رحمه الله-، لكن بقيت عنده إشكالات تتعلق بمسائل الصفات لأن الرجل درس في بعض البلاد العربية، وتأثر ببعض المذهب الكلامية، فأخذ يناقش الشيخ في مسائل الصفات لله -سبحانه وتعالى-، واستمر النقاش بينهم عدة أيام، حتى أعلن توبته وسلوكه منهج أهل السنة والجماعة، وسار الشيخ عبد القادر من العلماء الذين يدعون إلى التوحيد، وطبع مجموعة كبيرة من كتب التوحيد في جدة، وذلك كله بفضل الله -عزَّ وجلَّ- أولاً، ثم أن الدعوة وصلت إليه صافية كما هي، وهذا الذي أريد أن أصل إليه، أن هذه الدعوى متى ما وصلت إلى الناس كما هي دون تشويه، من أراد الحق لن يتردد في الاعتراف بأنها هي الدين الذي دعا إليه النبي -صلى الله عليه وسلم-.

إذًا – أحسن الله إليك – نقول لمن شوش عليه وبلغته الأكاذيب عن دعوة الشيخ بن عبد الوهاب، لا تحكم فقط بما سمعت، فقط أرجع إلى مؤلفات الشيخ، ومن خلال ما ستقرأ تتضح لك الدعوة الحقيقية، ثبت تبين، وكتب الشيخ الآن والحمد لله مشهورة ومنتشرة.

هذا هو يعني هو الحق الذي لا شك فيه ولا ريب، أرجع إلى مؤلفات الشيخ، وهي مجموعة في مجموع كبير، واقرأ فيه ما شئت، وأنظر هل أتى الشيخ محمد -رحمه الله- بشيء يخالف الكتاب والسنة، إن كان الأمر كذلك فاحكم عليه حينئذٍ بما تشاء، لكن إن لم يكن الأمر كذلك، إذًا على الإنسان أن



يسلك مسلك العدل والإنصاف.

أحسن الله إليك بقيت القصة الثانية فنود ونحن بشوق إلى سماعها.

الله يعزك بخير.. القصة الثانية بارك الله فيكم قصة مشهورة أوردها الشيخ محمد بن إبراهيم –رحمه الله– مفتي الديار السابق، في الجزء الأول من فتاوية من صحيفة خمسٍ وسبعين، وهي يذكرها عن أحد الدعاة إلى الله –سبحانه وتعالى–، اسمه عبد الرحمن البكري من أهل النجد، كان له دعوة في عمان، وكان له أيضًا تجارة إذا قل المال الذي في يده، يذهب يتاجر في الهند ويجمع ما تيسر، ثم يعود إلى مدرسته في عمان، وقد يستمر في سفرته هذه ما يقارب ستة أشهر، المهم أنه لما كان في الهند كان يسكن قريبًا من مسجد يدرس فيه شيخ، يذكر الشيخ عبد الرحمن هذا إنه كان لا يختم درسه إلا بالدعاء واللعنة على الشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله–، فيقول: آلمني هذا الأمر، وتحيرت كيف أحاول أن أبين الحق له، حتى هداني الله –عزَّ وجلَّ– لأمر، وهو أن أدعوه عندي لأنه كان يمر بي وهو يخرج من الدرس، ويقول: أنا أعرف اللغة العربية، ولكني أحب أن أسمعها من أهلها، فدعوته مرة وقلت: تفضل عندي فوافق، فتعمدت أن أترك كتاب التوحيد منزوع الغلاف على الرف، واستأذنت الشيخ في أن أذهب أُحضر طعام، قال: أريد أن أحضر لك بطيخة، فتركته، وأنا أعلم أنه سيبحث عن شيء يقرأ فيه، فوقعت يده على هذا الكتاب، فلما عدت إليه، قال: لمن هذا الكتاب، فإن نفسه نفس الإمام البخاري، فأظهرت تجاهلاً، وقلت: لما لا نذهب إلى فلان صاحب المكتبة الفلانية نسأله، فذهبنا إليه وقلت: يا فلان، هذا الكتاب منزوع الغلاف، ونريد نعرف هو لمن؟ ففهم القضية هذا الشخص، فطلب مجموعة التوحيد من أحد عماله، فلما جاء به وقارن بين الكتابين قال: هذا كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب، يقول: فلما ذكر اسمه صرخ قال: الكافر. يقول: فصمتنا برهة، ثم رجع واستغفر الله – عزَّ وجلَّ– وقال: يبدو إننا ظلمنا هذا الشيخ، فيقول: أصبح الشيخ بعد ذلك، لا يختم درسه إلا بالدعاء للشيخ محمد –رحمه الله– ويقول كان له تلاميذ انتشروا في الهند يدعون إلى التوحيد.

جميل جزآكم الله خيرًا، أحسن الله إليك الآن المتابع للوسائل الإعلامية بل العالمية ليست الخاصة، يجد أن الكلام عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته ووصفها بالوهابية للتنفير عنها عاد مؤخرًا، فما هو هذا السبب إثارة (١٣:٢٨) بين الفينة والفينة، كلما طبقت هذه الشبهة أو هذه المناوأة هناك من يعيدها، وربما من يكون من خارج هذه الدول الإسلامية والعربية.

أما إن سمحت لي الله يحفظكم يا شيخ عبد الرحمن قبل أن أجيب عن هذا السؤال أحب أن أقول لا يخفى على كل من متابع للواقع هو أن الدعايات الكاذبة قد شوهت الدعوة في نظر الجهال بها كثيرًا،



حتى أنه في بعض الأزمنة والنواحي كانت التهمة بالوهابية تهمة مخيفة قد تصل عقوبتها إلى القتل، أذكر في هذا إنه قد مر بي في الإعلام للزرقلي، ذكر في ترجمة رجل اسمه محمد بن عبد الله بن شاوي وهو من أمراء بادية العراق، اتهمه الترك بالميل إلى الوهابية فقتلوه خنقًا، وكان هذا سنة ١٢١٧هـ، من طريف ما يذكرنه ما أورده الأديب على الطنطاوي –رحمه الله– في ذكرياته في الجزء الثالث له سلسلة أعلام التاريخ، منها جزء للشيخ محمد بن عبد الوهاب خاصة عن دعوة الشيخ –رحمه الله–، طبع سنة ١٩٦٠م، العجيب يا شيخ عبد الرحمن أنه لما أرادات إحدى الدور الطباعية طباعته ثانية عام ٧٩م، ثم عام ٩٧م طبعة ثالثة أبت أن تطبع هذا الجزء بالذات، وهذا غيط من فيض في شأن الإرهاب الفكري الذي يمارس ضد هذه الدعوة.

على كل حال ليس هذا شأنًا عجيبًا الابتلاء سنة ماضية في أهل الحق، لا يخفاكم ما قال ورقة بن نوفل: للنبي –صلى الله عليه وسلم–، كما في الصحيح: "لم يأتِ رجلٍ قط بمثل ما جئت به إلا عودي"، إلا أننا نعتقد أن العاقبة للتقوى والمتقين، وأن الحق أبلج، وأن أنصاره منصورون، والباطل داحض وأتباعه مقهورون، والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، والحق منصور وممتحن، فلا تعجب فهذه سنة الرحمن.

العجيب يا شيخ يا عبد الرحمن أنه من فضل الله أن العقود الماضية، انقشعت فيها غيائب الجهل والتزوير لدي كثير من الناس في أرجاء المعمورة، وغدا الطعن واللمس بكلمة الوهابية طرحًا مكرورًا ومملاً عند كثيرين، وصار الإقبال على نتاج الدعوة من كتب ومواقع ووسائل إعلام لا يجحده إلا مكابر، غير أن الأمر كما تفضلت شيخ عبد الرحمن منذ سنوات قليلة عادت طبول أهل الباطل إلى القرع من جديد حول دعوة الشيخ محمد –رحمه الله–، وسعت سعيًا حثيثًا إلى تشويهها إثر ظهور طوائف غالية تدعشت، وتقعدت، فشوهت صورة الإسلام الناصعة بقبيح فعالهم، فوجد هؤلاء كفرصة سانحة فسعوا إلى الربط بين الجماعات الغالية، والدعوة الإصلاحية الصافية بدعوة أن تلك قد خرجت من تحت عباءتها.

صحيح يا شيخ هذه نقطة مهمة نريد أن نقف عندها لو سمحت، وهي أن بعض الناس يقولون أن هذه الجماعات الغالية التي أشرتم إليها، متأثرة بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، بدليل إنهم يقولون طبعوا كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب كيف نجيب على مثل هذه الشبهة أحسن الله إليك؟

أنا أقول حقيقة أنه لا ينبغي أن يختلف العقلاء، أن الالتقاء في نقطة ما لا يعني الموافقة أو التأثير، إذا كان النبي –صلى الله عليه وسلم– قد أخبر أن الخوارج الذين هم شر الخلق والخليقة، يقولون من خير



قول خير البرية، فلن يذم خير البرية بسبب هذا أليس كذلك؟ بلى.

إذا كانت الجماعات المنحرفة هذه نفسها تقرأ القرآن، وتدرسه، وتحفظه، وتستدل به في خطبها، وتحمله على ما تريد، هل سنحمل القرآن أخطائهم أيضًا؟ إذًا إذا قدر أن تلك الطوائف طبعت كتابة التوحيد مثلاً للشيخ محمد، هذا لا يعني سلامة منهجهم، ولا يعني تبرير باطلهم، ولا يدل أيضًا على الاتفاق معهم.

كيف وأعظم الجهود العلمية والدعوية في هذا العصر التي واجهت، وتواجه جماعات الغلو ضد هذه الفرق التي خرجت على أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- بالسيف؟ إنما كانت تلك الجهود الناصحة والمبينة انبعثت عن علماء وأشياخ أهل السنة والتوحيد الذين يلمزون بالوهابيين، وكما يقولون: حرك ترى..

وَلَيسَ يَصِحّ في الأفهامِ شيءٌ ... إذا احتَاجَ النّهارُ إلى دَليلِ

ولكن أريد أن أقف وقفة يا شيخ عبد الرحمن، عند أعظم ما يبين ظلم هذه الدعوى، التي يدعون يبنوا بطلان ما يذكرون وهو إبراز شيء من الآثار الطيبة للدعوى التجديدية الإصلاحية التي نهض بها الشيخ محمد -رحمه الله-، فإن العقلاء يحكمون على الأشياء من خلال آثارها وثمرتها أليس كذلك. بلى.

أيضًا بمقارنتها بأضدادها وبضدها تتبين الأشياء، والمنصف إذا قارن بناة الدعاة الصادقين، بتخريب الغولات المنحرفين، فستشرق أمام عينه شمس الحقيقة، ولا يملك حينها إلا أن يقول:

أيـن الثريـا مكانًـا في ترفعهـا ... من الثرى قال هذا كله منتبه

جزاكم الله خيرًا، إذًا لعلنا الآن نسلط الضوء على آثار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-.

أقول بارك الله فيكم، إن أعظم أثر لدعوة التوحيد والتجديد، التي قام بها الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- السعي والحثيث في تعليق القلوب بعلام الغيوب، لم تسعى هذه الدعوة إلا إلى توحيد الكلمة على كلمة التوحيد، فلم تصدر للناس سياسات جاهلية، ولا ثوراتٍ غوغائية، ولا اغتيالاتٍ همجية، لم تكن هذه الدعوى دعوة تشتيت وتفريق وتحزب، كانت دعوة تأليفٍ واجتماعٍ واعتصامٍ بحبل الله، كانت دعوةً تسعى إلى أن تتعبد القلوب والجوارح لله رب العالمين، وأن تستقيم على دينه، وأن يحكم شرعه، وأن ينزه دينه عن الدجل والخرافة، وإني أدعو هذا الواصم لهذه الدعوة بأنها تغذي الإرهاب، أدعوه إلى أن



يتفكر في أمر؛ وهو ما هو المنهاج التثقيفي الجماعي كما يقولون للدعوى، أكان نشيد حزب، أم عهد ولاء لمنظمة، أم تفدية لزعيم، أم كان صيحات وعيد لأعداء، ليس شيء من ذلك البتة، إنما كان الأصول الثلاثة، هذه الأصول الثلاثة، كان إمام الدعوة -رحمه الله- والحلماء في وقته ومن بعده، وإلى عهدٍ قريب، يجلسون للناس بعد الفجر، وبين العشاءين؛ ليحفظوا الناس إياها، ويسمعوهم ويعلموهم الأصول الثلاثة، معرفة العبد ربه، ومعرفة العبد دينه، ومعرفة العبد نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- بأدلة ذلك.

إذًا هذه هي أدبيات الدعوى كما يقولون، هذا هو محورها، هذا هو منطلقها، هذه هي قاعدة التربية فيها، دعوة تشديدٍ للتوحيد لا أقل ولا مزيد، أرأيت رعاك الله كم هي صافية، أرأيت كم ظلمها أعداؤها، ولذلك أسمع بارك الله فيك إلى الشيخ محمد -رحمه الله- وهو يوجز دعوته في كلمات وجيزة فيقول: "أقول ولله الحمد والنعمة وبه القوة إنني هداني ربي إلى صراطٍ مستقيم، دينًا قيمًا ملة إبراهيم حنيفًا، وما كان من المشركين، ولست ولله الحمد أدعو إلى مذهب صوفيٍ، أو فقيهٍ، أو متكلمٍ، أو إمامٍ من الأئمة الذين أعظمهم، إلى أن قال: بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وأدعو إلى سنة الرسول -صلى الله عليه وسلم- التي أوصى بها أول أمته وآخرهم، ويقول أيضًا: وصورة الأمر الصحيح أني أقول ما يدعى إلا الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى في كتابه: {لَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً} [نوح: ١٨]، وقال في حق النبي -صلى الله عليه وسلم- «قل إني لا أملك لكم ضرًا ولا رشدًا» فهذا كلام الله، والذي ذكره لنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ووصانا به، وهذا الذي بيني وبينكم، فإن ذُكر شيءٍ غير ذلك فهو كذبٍ وبهتان، انتهى كلامه رحمه الله".

جزاكم الله خيرًا وبارك الله فيكم، هذه واحدة من آثار الدعوة، هل هناك آثار أخرى أحسن الله إليك؟

من آثار هذه الدعوة المباركة أيضًا، إنها أثمرت نهضةٍ علميةٍ غير مسبوقةٍ على الإطلاق في القرون المتأخرة، فالواقع يشهد أنه قد أشرقت بسببها شمس العلم الصافي من جديد في قلب جزيرة العرب، ثم استنارت الآفاق بضوئها، وازدهرت علوم الكتاب والسنة، وانبعثت كتب السلف والأئمة، بعد أن اندثرت أو كادت، كما تزينت مكتبات العلم بنتاجٍ وفير من المؤلفات والرسائل، وأقبل طلاب العلم على العلم وكثروا، وصاروا يعرفون كيف يطلبون، وبماذا يبدءون، وكيف يقهرون بالحجة كل مجادل مماحل أو متعصب بليد، وإذا كانت هذه حالة علوم الشريعة قاطبة، فإن لعلم التوحيد فيها شأنًا خاصًا، فقد أرست هذه الدعوى دعائمها، وقام بسببها على سوقه فقعدت قواعده، وضبطت ضوابطه، وبينت الشروط والأركان، وعرفت التقاسيم والأنواع، وأصبح بحمد الله ما يتعلق بكتب الاعتقاد الصحيح، والرد على أعدائه، أصبح



هذا شيئًا منشورًا، وأصبح معلومًا، وصارت رماح صفحات كتب التوحيد تدفع في صدور أهل الخرافة، ولله الحمد والمنة.

جزآكم الله خيرًا. وبارك الله فيكم.